

تفسير أبي السعود

النحل 104 106 السلام معدنا لعلوم الأولين والآخرين لسان الذي يلحدون إليه أعجمي الإلحاد الإمالة من ألد القبر إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا ألد فلان في قوله وألد في دينه أي لغة الرجل الذي يميلون إليه القول عن الاستقامة أعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا أي القرآن الكريم لسان عربي مبين ذوبان وفصاحة والجملتان متساؤفتان لإبطال طعنهم وتقريره أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه فإن زعمتم أن بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي أعجز جميع أهل الدنيا والتثبت في أثناء الطعن بأذيال أمثال هذه الخرافات الركيزة دليل كمال عجزهم إن الذين لا يؤمنون بآيات الله أي لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء وأخرى أساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله إلى الحق أو إلى سبيل النجاة هداية موصلة إلى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الآخرة عذاب أليم وهذا تهديد لهم ووعد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله ﷺ إلى الافتراء والتعلم من البشر بعد إمالة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم إنما أنت مفتر وقلب الأمر عليهم ببيان أنهم هم المفترون بعد رده بتحقيق أنه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وإنما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الأول والمعنى والله تعالى أعلم أن المفتري هو الذين يكذب بآيات الله ويقول إنه افتراء ومعلم من البشر أي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لأن حقيقته الكذب والحكم بأن ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء كالحكم بأن ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه أعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى إنما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لأنه لا يتقرب عقابا عليه ليرتدع عنها وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر عنه افتراء البتة وأولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الإيمان بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون في الكذب إذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بأمثال هاتيك الأباطيل والسر في ذلك أن الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الإخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الأمر بخلق الله تعالى أو بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة الله تعالى في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا أو الذين عادتهم الكذب لا يزعمهم عنه وازع من دين

أو مروءة وقيل الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر من كفر باء أي تلفظ بكلمة الكفر من بعد إيمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال